صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب وأسلم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة
قومه ولما ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الزكوة كان مالك
المذكور من جملتهم ولما خرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي
بكر الصديق رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكواتهم
وتصرف فيها فكلمه خالد في معناها فقال مالك أنا آتي بالصلوة دون الزكوة فقال
خالد أما علمت أن الصلوة والزكوة معا لا تقبل واحدة دون أخرى فقال مالك قد كان
صاحبك يقول ذلك قال خالد وما تراه صاحبا لك والله لقد هممت أن أضرب عنقك
ثم تجادلا في الكلام طويلا فقال له خالد إني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال
وهذه بعد تلك والله لأقتلنك وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري رضي الله
عنهم حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا
فقال خالد لا أقالني الله إن أقلتك وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه
فالتفت مالك إلى زوجته متمم وقال لخالد هذه التي قتلتني وكانت في غاية الجمال
فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام فقال مالك أنا على الإسلام فقال خالد يا
ضرار اضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر وكان من أكثر الناس شعرا [illegible]
فكانت القدر على رأسه حتى نضج وما خلصت النار إلى شواته من كثرة شعره وقال ابن الكلبي
في جمهرة النسب قتل مالك يوم البطاح وجاء أخوه متمم وكان يرثيه وتزوج خالد امرأته
فقيل له اشتراها من الفيء وتزوج بها وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض ثم خطبها
إلى نفسها فأجابته فقال لابن عمر وأبي قتادة رضي الله عنهم يحضران النكاح فأبيا و
قال له ابن عمر رضي الله عنهما أكتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأذكر له أمرها
فأبى وتزوجها فقال في ذلك أبو زهير السعدي

ألا قل لحي أوطئوها بالسنابك : تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه لعرسه : وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف : عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك : إلى غير شيء هالكا في الهوالك
فمن لليتامى والأرامل بعده : ومن للرجال المعدمين الصعالك
أصيبت تميم غثها وسمينها : بفارسها المرجو تحت الحوارك

ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما إن خالدا قد
زنا فارجمه قال ما كنت لأرجمه لأنه تأول فأخطأ قال فإنه قتل مسلما فاقتله به قال
ما كنت لأقتله لأنه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم
أبدا هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما والعهدة عليهما و
كان أخوه متمم بن نويرة وكنيته أبو نهشل الشاعر المذكور كان كثير الانقطاع في بيته
قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه مقتل أخيه

حضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق رضي الله
عنه فلما فرغ من صلاته واستند في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكى على سية
قوسه فأنشد : نعم القتيل إذا الرياح تناوحت : خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرته : لو هو دعاك بذمة لم يغدر
وأومى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال والله ما دعوته ولا غدرته
ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا : ولنعم مأوى الطارق المتنور
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه : حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام إليه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وقال لوددت أنك رثيت زيدا أخي بمثل ما رثيت به مالكا
أخاك فقال يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال له عمر ما عزاني
أحد عن أخي بمثل ما عزيتني وكان زيد بن الخطاب رضي الله عنه قتل شهيدا يوم اليمامة
وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لأهش للصبا لأنها تأتيني من ناحية زيد وروي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك
وروي أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر رضي الله عنه لم ترث زيدا كما رثيت
مالكا فقال إنه والله يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد وقال له عمر رضي الله عنه يوما
إنك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة ذات الأزيز والصراد
يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت
وهو بين المزادتين حتى يصبح وهو متبسم الأزيز بفتح الهمزة وزاءين الأولى منهما
مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها صوت الرعد والصراد بضم الصاد المهملة و
تشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة غيم رقيق لا ماء فيه والثفال بفتح الثاء
المثلثة والفاء وهو الجمل البطيء سيره لا يكاد يمشي من ثقله والجرور على وزن فعول
الفرس الذي يمنع القياد والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها والمزادة الرا
وية وهي معروفة وقال له عمر رضي الله عنه خبرنا عن أبيك فقال يا أمير المؤمنين لقد
أسرت مرة في حي من أحياء العرب فأخبر أخي فأقبل فلما اطلع على الحاضر ما أحد كان قاعدا إلا
قام على رجليه وما بقيت امرأة إلا تطلعت من خلال البيوت فما نزل عن جمله حتى لقوه بي
برمتي فحلني هو فقال عمر رضي الله عنه إن هذا لهو الشرف والرمة بضم الراء الحبل البالي
ومنه قولهم دفع إليه الشيء برمته وأصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه فقيل
ذلك لكل من دفع شيئا بجملته وقال متمم أيضا لعمر رضي الله عنه أغار حي من أحياء العرب
على حي أخي مالك وهو غائب فجاء الصريخ فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى
حتى أدركهم على مسيرة ثلث وهم آمنون فيما هو لا أن دفاه فأرسلوا ما في أيديهم من
الأسرى والنعم وهربوا فأدركهم أخي فاستسلموا أجمعا حتى كتفهم وصدر بهم إلى بلاده
مكتوفين فقال عمر رضي الله عنه قد كنا نعلم سخاه وشجاعته ولم نعلم كل ما تذكره وله
فيه المراثي النادرة ومن ذلك الأبيات الكافية وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي

Copyright © King Saud University